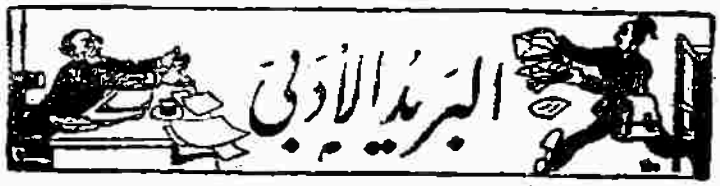

من وحي المرأة

أخي صدق ...

... إنك لتعلم رأيي في دموعك هذه التي نظمتها قصائد . تعلمه من هذه الانفعالات التي كنت أحاول أن أخفيها عنك فتظهر، وأنت تسمعني هذه القصائد قبل نشرها فأسمع، وأنا أحس أنك تعيش في أثناء قراءتها وتتألم !

ولقد كنت أستزيدك منها كلما هممت أن تطوي أوراقك الحبيبة في صدرك، وأنت تضمها إليك ضمة الحب والأسى، ربما تزدود عيناك دمعة ندت، فلم تشأ أن تطلقها على سجيتها، لأننا لسنا وحيدين، بل حولنا الناس في المقهى أو في الطريق !

كنت أشفق عليك أن تقرأها، وكنت أستزيدك من قراءتها... لأنني أعلم — وقد جربت من قبل تجربة شبيهة بتجربتك في الأم الصديقة — أن هذا الألم النبيل الكريم الذي تحسه وأنت تستمد هذه الصور العزيزة، هو ألم كذلك عزيز مريح !

والألم النبيل الكريم يا صديق نادر في هذه الدنيا الحافلة بشتى الآلام ! وما أحوج الإنسانية إلى مثل هذا الألم بين الحين والحين، يطهرها وينقيها، ويرفعها من ثقلة الأرض، ويطلقها ترفرف في السماء

ولكن الذين يعرفون مثل هذا الألم ويقدرونه نادرون مثله في هذا الوجود . وأنت الذي تقول في صدق مفجع حزين :

كأنيَ بالأحزان غيّرنَ طابعي ... وأن بوجهي ما تجن أضالعي
ظلال جحيم من دخان ولاعج ... وأشباح تعذيب دوامٍ دوامع
وإلا فما للناس يجتنبونني ... وقد كنت منشوداً بتلك المجامع؟
وإني لألقاهم كمهدي مرحباً ... وأبسط كفي في سلام مسارع!
أفرّج ما بين الشفاه تبسما ! ... وأدعو أساريري وأجلو مطالعي!
وأضحك أحياناً وأظهر ناجدي ! ... وآخذ في أسمار غرّ وخالع !
فما لهم لا يطمئنون ؟ ما لهم ؟ ... وضحكي عالٍ مُسمِع ذو قعاقع
أبشرىَ غير البشر في عين ناظر !
أضحكيَ غير الضحك في سمع سامع ؟

أجل صدقوا ، مذ متّ يا سرّ فرحتي
طُبعتُ كتمثالٍ على الحزن فاجع

أجل يا صديقي ، لأن الناس في هذا الزمان يريدون أن يضحكوا دائماً ، وليتهم يعرفون كيف يضحكون !

أما أنا فلست بناصح لك أيها الصديق — كما لم أنصح لك في فورة الألم — أن تتسلى . فما أرخص السلوى في الحياة ، وما أعز الألم الصادق النبيل ؟ وما أفدح الخسارة حين نمسي ونصبح ، فإذا أيدينا خالية من هذا الألم الذي يربطنا بأعز أحبابنا ، ويصلنا بذلك الماضي الذي لن يعود

وإني لأقرأ ثم أقرأ في احترام بالغ قصيدتك « تساؤل » :

أتغلبني هـــذي الحياة على حزني
فأصبح مثلوج الحشى ضاحك السن ؟
أيأتي زمان تخطرين بخاطري ... فلا يسبق الدمع المتون إلى عيني؟
أيجري لساني باسمك الحلو صادحاً ... مبيناً فلا يوحي إليه ولا يكني؟
وقد كان في حلقي يجف ويلتوي
ويهمس مبحوح الصدى نجهش اللحن !
أيحلو لطرفي أن يطالع صـــورة
لحسنك من بعد القجيعة في الحسن ؟
وقد كنت أخفيها وكانت بناظري
إذا عرضوا عفوا — كغاشية الدجن
أيخلو مكان من خيالك ماثلا
بكل مكان — أينما سرتُ — أو كنت
ويطغى على نفسي شـــعور وفكرة
ولم تشركيني في شعوري وفي ظني ؟
ويشغلني شيء ولو بعض ساعة ... فلا أنت في قلبي ولا أنت في ذهني ؟
نشدت زماناً يورث الناس سلوة ... ليكفيني برد السلو ويسأتي
بديلي منك الحزن لم يبق غيره ... فلا حبذا السلوان غبناً على غبن
وإني لأستحييك إن غب مدمعي ... وأحزن يوماً إن غلبت على حزني

إنك لغني يا صديقي بهذا الكنز من الألم الرفيع النبيل ، فكن أميناً عليه ، فمثله نادر في هذا الوجود !

سيد قطب

كلمة قارئة - إسكان أواخر الكلمات

ألمع ابن خلدون في مقدمته الشاملة إلى اقتراح إسكان أواخر الكلمات تخلصاً من حركات الإعراب فقال : (ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد — عهد ابن خلدون — واستقرينا أحكامه نتناض من الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى) .

وقال أيضاً : (ولم يفقد منها — أي من لغة مصر مقارنة بلغة

عهد ابن خلدون — إلا دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول. فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن) . ومن الملاحظ أنه لم يشرح شيئاً من « الأمور الأخرى » فى قوله الأول ولا شيئاً من « القرائن » فى قوله الثانى بحيث لا يمكننا أن نستنبط منهما وسيلة تنفيذية إلا التقديم والتأخير أى تقديم الفاعل وتأخير المفعول مثلا للتمييز بينهما وأظن أنها وسيلة غير كافية لأن اللغة ليست قاصرة على حالتى الفاعلية والمفعولية وليست قاصرة على حركتى الرفع والنصب وليس حتما أن تشتمل الجملة على اسمين اثنين لا غير

مع هذا لا يزال ينادى بهذا الاقتراح الطريف باحثون معاصرون يرون فى اللغات الأوروبية المكنة الأواخر برهاناً تطبيقياً نافذاً .

والذى يخيل إلى أنهم لم يبحثوا الموضوع على الأقل من الناحية الشكلية التى يبدو فيها خلاف كبير بين اللغة العربية واللغات الأوروبية يستعصى معه إتباع هذا الاقتراح .

فأولا : صلب اللفظ العربى يحتاج إلى ضبط كامل لا يفيد معه إسكان الآخر لأنه يتكون من حروف ظاهرة فى الكتابة وحروف أخرى تظهر فى النطق . ولا زلت أذكر قصة لأحد الظرفاء إذ شاهد مع بعض صيوفه من الريف حيواناً عجيباً فى حديقة الحيوان فسألوه ما هذا ؟ فحار فى قراءة كلمة (البر) على قفصه لا لجهله بحركة آخرها طبعاً بل لجهله بحركات سائر الحروف .

وثانياً : استقلال اللفظ . فنجد أن اللفظ فى اللغة الأوروبية منفصل قائم بذاته فى كل معانيه بينما هو فى العربية خاضع لغيره أو متصل به . فنحن نقول : كتابهما — كتابهم — كتابهن... فأين الحرف الذى يسكن ؟ الأخير أصلا أم الأخير رسماً ؟ اللفظ الأصيل ! كتاب وآخره الباء فحينما أسند إلى غيره تغير آخره بالاندماج فيه . بينما الإنجليز مثلا يقولون : Their book لهذه الحالات الثلاث . وليست بصدد القول بأن أساليب التعبير عندنا أدق وأوفى وهذا ربح لا يهون بجانب تسهيل النطق عندهم .

وثالثاً : حركة الآخر ليست خاضعة لاتصال اللفظ بغيره اتصالا مباشراً فحسب بل أيضاً تخضع للاتصال غير المباشر بالألفاظ المجاورة . فإسكان الأواخر يكثر من « التقاء الساكنين » أو تعذر النطق لتعاقب حركتين.. فإذا تعمدنا الوقوف عند كل كلمة قطعنا فى النطق تقطيعاً مضحكا مرهقاً وإذا استرسلنا بغير ضوابط خرجنا على القاعدة خروجاً همجياً ، وإذا اعتمدنا على التقديم والتأخير أخفقنا فى الجمل المتشابهة الكلمات والجمل التى تتكرر فيها كلمات معينة .

ورابعاً : كثير من الألفاظ ساكن ما قبل الآخر . فإسكان الآخر أيضاً ثقيل جداً . وهو بالغ الثقل عند ما نصل مثل هذه الألفاظ بألفاظ ساكنة الأول أو طيعة الأول على الأصح.

وخامساً : بعض الألفاظ مبنى على حركة تدل دون غيرها على معنى خاص . مثل : أنتَ — أنتِ فإسكان (أنت) يحرمنا من فهم المعنى إلا بالسياق والإطناب حيث يغنى الإيجاز .

إلى غير ذلك من الأحوال الخاصة بطبيعة لغتنا وحدها .

والعجيب أن اللغات التى تلائم طبيعتها قاعدة إسكان الآخر قد تجنح إلى أدوات شاذة لتعذر إطرادها . مثل إقحام حروف غريبة لا تمت إلى الأصول والأصلاب بصلة ما كالحرف T فى il — T — ya أى : (هل هناك...؟) والجواب : il ya بلا وجود للحرف T الذى وجد لتحاشى التعقيد بالتخلص من تعاقب a ، i . ولا أعرف لذلك ضريباً إلا فى لغة بعض قبائل النوبيين فهم يقولون مثلا : (إنّرُكِ اكّرِى) (إنر : طعام — اكرى : هات — الكاف : زائدة لهذا الغرض . وللنوبيين عندهم فى لغة — لا تكتب ولا تطرد لها قواعد مدونة .

وعلى العموم فإن إسكان الآخر عامل من عوامل إضعاف اللغات . حتى الأوروبية بدليل الاختلاف بين سماعها وقراءتها إلى حدما . فمعظم حروف الآخر فيها صامتة مثل : beaux — perp وسيؤدى ذلك مستقبلا إلى ضمورها كما أدى تمهيدياً إلى انقطاع الصلة بين المكتوب والمنطوق . لذلك يلتزم بعض الفقهاء فى فن القراءات ضرورة الاتكاء على الحرف الأخير فى حالة السكون بالقلقلة والغن والتنوين حتى لا يعتريه ضمور أو إبهام أو إضغام .

وهب أننا سنهتدى إلى قواعد للغة المقترحة فلا بد من بذل مجهود ضخم فى تعليم العامى أن كلمة (مستأبل) خطأ وأن صوابها (مستقبل) بإسكان الآخر وأنها تقدم فى حالة الرفع وتؤخر فى النصب . بمثل هذا المجهود تقريباً يمكن تعليمه أن الصواب (مستقبلٌ) ، (مستقبلا) . والفرق بين المجهودين بسيط لأن القواعد التى تسرى على كلمة واحدة تسرى على أشباهها جميعاً .

وليس الإعراب بهذه الوعورة التى تنتهى بنا إلى القنوط . والذين لا تحتمل عقولهم بعض القيود المادية كالإعراب لا يرجى أن تحتمل آراء وعلوماً وفنوناً .

عبد الفتاح البارودى